

الياقوتة

الفصل الرابع والعشرون .

عد إلى ربك .

أيها العبد : تناه عنه قبيح فعلك قبل انبثاث جهلك وانظر لنفسك في أمرك قبل حلولك في قبرك .

كتب الحسن إلى عمر بن عبد العزيز : أما بعد فكأنك بالدنيا لم تكن وبالآخرة لم تزل . ووعظ أعرابي ابنه فقال : لا الدهر يعطك ولا الأيام تنذكرك والساعات تعد عليك والأنفاس تعد منك أحب أمريك إليك أردهما بالمضرة عليك .

ووجد على حجر مكتوب : ابن آدم لو رأيت ما بقي من أجلك لزهدت في طول أملك ولرغبت في الزيادة في عملك ولقصرت من جهلك وحيلك وإنما يلقاك ندمك إذا زلت قدمك وأسلمك أهلك وحشمك وباعدك الولد القريب ورفضك الولد والنسيب فلا أنت إلى دنياك عائد ولا في حسناك زائد فاعمل ليوم القيامة قبل الحسرة والندامة .

وقف قوم على راهب فقالوا : إنا سائلوك أفمجبينا أنت ؟ فقال : لا تكثرُوا فإن النهار لم يرجع والعمر لن يعود والطالب حثيث في طلبه ذو اجتهاد فقالوا : ما على الخلق غدا عند مليكهم ؟ قال : على نياتهم قالوا : فأنى الموءل ؟ فقال : إلى المقدم قالوا : فأوصنا قال : تزودوا على قدر سفركم فإن خير الزاد ما بلغ البغية .

يا هذا : لا تجزع لرؤية ملك الموت وائت وأنت تشاهد فيها عملك عمرك قليل وقد ضيعت أكثره فكيف شعورك في البقية ولعل هذا اليوم الآخر واللييلة الأخيرة ما أرخص ما يباع عمرك وما أغفلك عن السرى إنما المرض نهاية الصحة والفرق قرين الوصلة والأيام ترحل ولا بد من مسة بدن والحبیب مفارق والمرء رهن مصائب .

الأيام تنقضي حتى يوارى جسمه في رمسه فمؤجل يلقي الردي في غيره ومعجل يلقي الردي في نفسه الدنيا لمن فهم قنطرة العبور وسوق التزود ومتطهرة التنظيف وزرعت للحصاد فأما للعاقل فهي مفرقة المجامع ومحزنة الربوع ومجربة الدموع من نال من دنياه أمنيته اسقطت الأيام منها الإلف اطلب فيها قدر بلغتك وخذ مقدار حاجتك خصها خصوص المسافر في طلب علف بغيره اطلب الدنيا قدر الحاجة واطلب الآخرة على حسب الطاقة هذا ولو أنك بلغت إلى الحمى التوكل لاستراح قلبك وغذاك □ كما يغذي الطير تغدو خماسا وتروح بطانا